العرب
الخميس 2019/10/24
السنة 42 العدد 11507

النداء الثقافي في تظاهرات أكتوبر

كان ومايزال مطلوبا أن تدخل الثقافة إلى مناطق إشهار الشعارات الوطنية في العراق

وارد بدر السالم
كاتب عراقي

منذ الأول من أكتوبر الجاري وحتى اليوم تغيّرت بعض المفاهيم في الشارع العراقي، بشأن الحريات وحقوق الإنسان والحياة المدنية ومكافحة الفساد المستشري ونهب المال العام على نطاق واسع، والمطالبة بالعدالة الاجتماعية واستثمار طاقات الشباب العاطلين عن العمل من خريجي الكليات والمعاهد، وغيرها من المطالب التي توجب على الحكومة العراقية أن تفهمها بشكل مباشر وتتدارك سلوكها السياسي المتخبط؛ فهي مطالب طبيعية جدا ينادي بها متظاهرو أكتوبر من الشباب الذين غيّروا صورة التحزّب والأحزاب ووضعت الجميع أمام مرآة مكشوفة للعراقيين والعالم.

الأجيال العراقية الجديدة الشابة في تظاهرات أكتوبر خرجت من المعطف الثقافي الوطني ولم تخرج من المعطف الديني-الطائفي

ولأول مرة؛ ومنذ ست عشرة سنة سوداء جرت فيها مظاهرات حزبية موَجّهة؛ ارتفعت أصوات كثيرة في مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة تنادي بها المثقفين من الأدباء والكتّاب والفنانين وصنّاع الجمال للمشاركة الفعالة في رفد هذه الانتفاضة بالكلمة والصورة والتعبير الإيجابي السلمي المحرّض على استمرارها، وضخ الأمل في نفوس العراقيين من أنّ الحياة المدنية الأفضل ستأتي ولو بعد حين، بعد أن تتغير عمائم الفساد ويُقضى على الفاسدين من السياسيين الإسلاميين الذين أوصلوا البلاد إلى الحضيض ونهبوا أموالها وخزائنها وأفقروا البلاد والعباد، وأخيرا قتلوا شبابها الصغار الباحثين عن التغيير إلى حالة أكثر عدالة وجمالا وأمنا وسلاما.

النداء الثقافي هذا جديد في تعاطيه مع انتفاضة الشباب في محتواها ونزعتها الوطنية. إذ لم يسبق أن طولبَ المثقفون بمثل هذا الوضوح أن يكونوا شركاء في التظاهرات السابقة لأنها حزبية مسيّسة، بما يعني أن شباب أكتوبر لم يطالبوا بسلاح وبنادقَ ورصاص، بل طالبوا بالسلاح الأقوى والأكثر أثرا في جسد السلطة والسياسة الفاسدة؛ وهو سلاح الكلمة التي أرادوها أن تسير إلى جانب الصوت/الهتاف/الشعار/وتضخمه وتنشره على مادياتٍ أوسع، بنسق ثقافي جديد يمثل الوعي الجديد لشباب الانتفاضة. فالإيمان بالدور الثقافي هذه المرة كان أوضح وأكبر من الدور السياسي المشتّت بين الأحزاب الفاسدة الحاكمة. وكان مصدر ثقة للانتفاضة الجديدة بين الشباب غير المسيّسين.

وكان النداء لأن تدخل الثقافة بوعيها الوطني إلى مناطق إشهار الشعارات الوطنية المطلوبة هو تضمين للفعل الثقافي الوطني الحقيقي، لما لها من قابلية على أن تكون صوتا رديفا متضامنا وفاعلا على مدار المواجهات اليومية الحرجة التي دارت بين شباب يطالبون بالقضاء على الفساد وتوفير فرص العمل، وبين سلطة استعانت بالآخر-الخارجي-الدموي-القناص-لتغطية فشلها وتبرير جهلها بما حصل من قتل وإصابات وتشتيت لأفواج المتظاهرين بالغاز المسيل للدموع وخراطيم المياه ومن ثم بالرصاص الحي الذي قتل وأصاب الكثيرين.

في المرات الماضية من تظاهرات التيارات الإسلامية المحسوبة على السلطة السياسية لم يكن مثل هذا النداء شاغلا أوليا؛ لأن للسياسة وتحزبها الديني المظهري-الطائفي لونا عُنفيا شرسا لا يلتقي مع اللون الثقافي ذي الطابع الإنساني العلمي الباحث والهادف إلى الجمال والحق والسلام، لذلك يمكن أن نقول إن الأجيال العراقية الجديدة الشابة خرجت من المعطف الثقافي الوطني ولم تخرج من المعطف الديني-الطائفي سيء الصيت؛ فهؤلاء تربية الانفتاح الجديد بعد 2003 ولا تربطهم علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالجنون الطائفي الذي خرّب البلاد والعباد وسرق الدولة وجعلها حطاما على حطام.

هذا شيء مشجّع جدا أن تكون مثل هذه الأجيال تعي دور الثقافة الحاسم في مواجهة سلطة لصوص طائفية غاشمة، وتطالب به بقوة أن يكون ساندا ومساندا، حتى بعد أن حوّلت السلطة هذا اللقاء إلى مواجهات مسلحة عبر مرتزقة عراقيين وغير عراقيين كقنّاصة غادرين، ومن الواضح أن السلطة وأعوانها المعمّمين أدركوا قيمة الوعي الثقافي للحالة العامة في هذه المواجهة غير المتكافئة، فعمدت إلى قطع الإنترنت وتوابعه الأخرى من المواقع لتحجيم الصوت الثقافي الذي سارع لدعم الانتفاضة وزخ الشعارات الوطنية الرافدة لمطالب الشباب. وهو ما جعل منظمة العفو الدولية تصدر بيانا بجميع اللغات أدانت فيه هذا الإجراء للتعتيم على انتفاضة أكتوبر و(لكي لا يرى العالم القمع المفرط وغير الضروري الذي مورس بحق هؤلاء المتظاهرين) وأن قطع بث الإنترنت (كان من أجل قمع التظاهرات بعنف وتخويف الناس وتوصيل رسالة لهم بأن السلطات قوية ومسيطرة).

ومع هذا التماهي السريع لوقف الحريق الشبابي الذي انتشر في أرجاء بغداد وبعض المحافظات الجنوبية، قامت السلطة باعتقال بعض الناشطين المدعومين من الجماعات الثقافية والأدبية على وجه الخصوص، وهي جماعات مستقلة غير متحزبة؛ إضافة إلى القمع غير المبرّر الذي أخرج العراق من عضوية حقوق الإنسان ليكون مُدانا أمام أنظار العالم، وسنرى الصورة غير ملائمة جدا تعكس بشكل جليّ وجه الأحزاب الإسلامية الحاكمة والسلطة البشعة التي تقودها الميليشيات في دولة عسكرية متعددة الولاءات لبعض دول الجوار المتناطحة.

ولم يكن الصوت الثقافي قاصرا في لحظات يومية سريعة الحركة بمواجهاتها الدموية الطويلة، وكان يتتبع مجرى الدماء النازفة من صدور الشباب العزّل ويشير إلى الفاعلين الدمويين بشكل مباشر. ولعل الثقافة بوصفها الشامل كانت منبرا مُتسارعا للتغطية على الأحداث البشعة التي مارسها الآخر-المرتزَق فهي انفتاح للوعي الوطني وشريان يغذي الحماسة بالكلمة والصورة واللقطات الفيديوية التي أرادوا حجبها.

غدا المواجهات الجديدة. وسيكون للمثقف العراقي دوره وصوته في مرويات ربيع عراقي جديد بصفحته الثانية. وسيكون النداء الجديد أكثر قوة وفاعلية وأصالة وتوجيها إلى الحدث الجماهيري في استمرارية انتفاضة أكتوبر وثورة الشباب الأعزل إلاّ من كنز الثقافة الوطنية التي يعوّلون على صلابتها وقوتها بأن تكون السلاح الأقوى في مواجهة العمائم الفاسدة ورموزها الكارثية.

الشاعر مازن معموري من «ميليشيا الثقافة».. تعبير شعري عن الثورة على الحاضر السياسي

قرن الدكتاتوريات

حسونة المصباحي
كاتب تونسي

في خريف هذا العام تكون قد مرت ثلاثون عاما على انهيار جدار برلين، وتفتت الأنظمة الشيوعية بقيادة ما كان يسمى بالاتحاد السوفييتي. من وحي ذلك الحدث التاريخي العظيم أصدر المفكر الأميركي فرانسيس فوكوياما كتابه الذي حمل عنوان "نهاية التاريخ"، وفيه قدم أطروحته الشهيرة التي تؤكد أن الديمقراطية في شكلها الغربي ستكون مستقبل جل دول العالم. إلاّ أن الأحداث سرعان ما كشفت عن ثقوب كثيرة في أطروحة فوكوياما، مثبتة أن الأنظمة الدكتاتورية لا تزال قائمة مثلما هو الحال في كوريا الشمالية وكوبا وإيران. وهناك بلدان تمارس ما يمكن أن نسميه بالديمقراطية المزيفة لتخفي تسلطها وعنفها واستبدادها. وهذا هو حال تركيا في ظل حكم أردوغان. كما هو حال روسيا في ظل حكم بوتين.

من جهة أخرى الديمقراطيات العريقة في البلدان الأوروبية، وفي الولايات المتحدة الأميركية أصبحت مهددة بمخاطر جسيمة بعد أن أصبحت أحزاب شعبوية ويمينية متطرفة تتمتع بشعبية واسعة، بل إن بعضها أصبح في السلطة مثلما هو الحال في إيطاليا والمجر.

لعل الكاتب الفرنسي أوليفييه غوز أراد أن يحذر الشعوب من خطر عودة الأنظمة الاستبدادية، لذلك أصدر كتابا بعنوان "قرن الدكتاتوريين"، وهو يعني بذلك القرن العشرين الذي يرى أنه كان القرن الذي شهد أعتى الأنظمة الدكتاتورية وأشدها شراسة وخطرا على السلام والأمن في العالم. وهو أيضا القرن الذي تعايش فيه حكام لم يترددوا في ارتكاب مجازر فظيعة، وفي ترويع شعوبهم وتعنيفها، وفي إشعال الحروب المدمرة بهدف الحفاظ على السلطة.

ويحدد أوليفييه غوز مواصفات الدكتاتور على النحو التالي "الدكتاتور هو الحاكم الذي يستأثر لنفسه بكل السلطات، ويحكم بحسب مصالحه الخاصة وغرائزه، مبيحا لنفسه تسليط المظالم، وممارسة سياسة تقوم على العنف والترهيب من دون أيّ اعتبار لأبسط المبادئ الإنسانية والدكتاتور يحب أن يكون معبودا من قبل الجماهير، وأن تقام له التماثيل في الساحات العامة، وأن تنظم القصائد في مدحه وتمجيده. ولكي يظل في كرسي السلطة هو يحارب المعارضين له بشدة، بل قد يقتلهم وينفيهم ويحرمهم من العمل".

كيف يظهر الدكتاتور. على هذا السؤال يجيب أوليفييه غوز قائلا بأن الأزمات الاقتصادية أو الاجتماعية أو العالمية كما هو الحال خلال أزمة 1929، وأيضا الحروب الأهلية هي التي تؤدي إلى بروز "الرجل القوي"، أي الدكتاتور الذي يدّعي في البداية أنه الأصلح لإنهاء الفوضى، وتحقيق الأمن والاستقرار. وقد يصعد الدكتاتور إلى السلطة عن طريق صناديق الاقتراع مثلما هو الحال في ألمانيا وإيطاليا خلال ثلاثينات القرن العشرين، أو عقب انقلاب عسكري مثلما حدث في العديد من بلدان العالم الثالث، والبلدان العربية من بينها.

ويضيف أوليفييه غوز قائلا بأن الحرب الكونية الأولى التي كان ضحاياها بالملايين، أسقطت امبراطوريتين كبيرتين هما الإمبراطورية العثمانية والإمبراطورية النمساوية-المجرية. وكان انهيار القيصرية في روسيا من نتائج تلك الحرب أيضا. وقد أدّت تلك الأحداث الهامة إلى انتشار الفوضى والخوف في مناطق كثيرة من العالم. كما أدت إلى ظهور قوى سوداء تمكنت بسرعة من الاستحواذ على السلطة مثلما كان حال النازيين في ألمانيا والفاشيين في إيطاليا. وعقب انهيار الامبراطوريتين الاستعماريتين بريطانيا وفرنسا برز حكام صادروا الاستقلال لصالحهم، وحكموا شعوبهم بالحديد والنار مثلما هو حال جل البلدان الأفريقية والعربية. وخلال الحرب الباردة ساندت كل من الولايات المتحدة الأميركية وما كان يسمى بالاتحاد السوفييتي أنظمة دكتاتورية في العديد من البلدان.

في كتابه خصص أوليفييه غوز فصولا لأشهر الدكتاتوريين في العالم وأشدهم قسوة وعنفا أمثال هيتلر وموسيليني ولينين وستالين وماوتسي تونغ وأنور خوجة والجنرال فرانكو. وهو يرى أن لينين خان منذ البداية المبادئ والأفكار التي ظل يدافع عنها خلال مسيرته النضالية الطويلة. فقد حارب كل المعارضين للبلاشفة، سواء كانوا أرستقراطيين أو بورجوازيين أو رجال دين أو عسكريين أو اشتراكيين. كما أنه حارب الفلاحين الذين رفضوا التخلي عن أراضيهم، وقتل منهم أعدادا وفيرة. وخلال فترة "شيوعية الحرب" صادر لينين كل ثروات روسيا لصالح البلاشفة، مانعا كل شكل من أشكال التجارة الحرة. وفي دستور1918 أقر بأن الحزب الشيوعي سيكون له الحق في السيطرة على جميع أجهزة الدولة والتحكم فيها. ومثل النظام القيصري أرسل لينين آلافا من أبناء شعبه إلى المحتشدات الرهيبة في سيبيريا. لذلك يرى أوليفييه غوز أن لينين هو الذي مهد لظهور دكتاتوريين شيوعيين أمثال ستالين وماوتسي تونغ وفيدال كاستور وأنور خوجة وآخرين.

الديمقراطيات العريقة أصبحت مهددة بمخاطر جسيمة بعد أن أصبحت أحزاب شعبوية ويمينية متطرفة تتمتع بشعبية واسعة

مهرجان تونسي يبحث في الشعر الصوفي ومدى تأثيره في الفنون الأخرى

تطلق مدينة توزر في جنوب غرب تونس الدورة التاسعة والثلاثين من مهرجانها الدولي للشعر، الخميس، بمشاركة شعراء ونقاد من أكثر من 20 دولة عربية وأفريقية وغربية. ويناقش المهرجان على مدى ثلاثة أيام "الشعر الصوفي والفنون المجاورة" بالتزامن مع اختيار تونس عاصمة للثقافة الإسلامية 2019.

إياد صالح

تونس – يسعى القائمون على المهرجان الدولي للشعر بتوزر (450 كلم جنوب العاصمة تونس) ليكون الأدب في خدمة السياحة، حيث يعمل المنظمون في كل دورة على برمجة أكثر من رحلة سياحية تقود الضيوف من تونسيين وعرب وأجانب إلى الواحات الفاتنة وإلى عمق الصحراء التونسية حيث الجمال الطبيعي الذي لم يُدنّسه التلوّث البيئي ومازال على هيئته الأولى.

وفي دورة هذا العام التي تنطلق الخميس، سيكون ضيوف المهرجان من شعراء ونقّاد وفنانين على موعدين متتاليين مع الواحة والصحراء، سيما أنّ المنظمين اختاروا أن يكون محور هذه الدورة "الشعر الصوفي والفنون المجاورة" بمشاركة نقاد من تونس ودول عربية وأفريقية بغاية الانفتاح على التجربة الأفريقية شعرا ونقدا.

أربع قارات

أكد الشاعر التونسي عادل بوعقّة مدير المهرجان الدّولي للشعر بتوزر أنّ الدورة التاسعة والثلاثين حظيت بدعم من وزارة الشؤون الثقافية التونسية والمندوبية الجهوية للثقافة ومحافظة توزر وبلدية توزر.

وأضاف "تنتظم الدورة الجديدة تحت عنوان الشعر الصوفي والفنون المجاورة بمشاركة شعراء ونقّاد من تونس وعدد من الدول العربية والأجنبية أتت من أربع قارات، لنمثّل كلا من: المغرب والجزائر وفلسطين وسوريا ولبنان ومصر والأردن والعراق ومالي ونيجيريا وإسبانيا وإيطاليا وبولونيا وألبانيا والأرجنتين وفنزويلا".

ومن أبرز الأسماء العربية المشاركة في النسخة الحالية: خالد الشومري وناصر قواسمي من فلسطين وبشير غريب من الجزائر ونادر عبدالخالق من مصر وأحلام غانم من سوريا وجومانة نجار من لبنان.

وأشار بوعقّة إلى أنّ "الدورة التاسعة والثلاثين ستحتفي بالعديد من الفقرات التي تتوزّع بين الشعر والموسيقى والعروض الفرجوية فضلا عن الزيارات السياحية، علاوة على تكريم الشاعر الفلسطيني أحمد الشاعر الفائز بجائزة لجنة التحكيم لجائزة القدس خلال الدورة الماضية".

وعلى هامش الدورة الحالية وفي دار الشباب توزر تنتظم ورشة للكتابة الشعرية والقصصيّة لليافعين تحت إشراف عبدالرزاق ساسي وأمينة الزاوي وبسمة بوعبيدي، فضلا عن ورشات مع الطلبة والتلاميذ والمبدعين يقوم بها أعوان المؤسّسة التونسيّة لحقوق المؤلّف والحقوق المجاورة.

المهرجان الدولي للشعر بتوزر ينفتح في دورته الـ39 على التجربة الأفريقية شعرا ونقدا

فعاليات متنوعة

تنطلق فعاليات الدورة الجديدة مساء الخميس باستقبال الضيوف بنزل الإقامة، وتنظيم سهرة تنشيطية للتعارف وتقديم البرنامج. يليه، الجمعة، الانطلاق الفعلي للأنشطة الثقافية بزيارة معرض الكتاب ومعرض أدباء الجريد الحائطي ومعرض الفنون التشكيليّة

ليكون الافتتاح الرّسمي للمهرجان صبيحة الجمعة بكلمة المهرجان وكلمة المندوب الجهوي للثقافة بتوزر، ثمّ كلمة رئيس اتحاد الكتّاب التونسيّين ورئيس اتّحاد المغرب العربي فكلمة محافظة توزر.

كما ينتظم عرض افتتاحي للفنان الفلسطيني ناصر قواسمي بمصاحبة الفنانة هدى بكّاري وعرض الفنان والشاعر الإيطالي سلفاتور دي نابا مع عرض لفرقة صوفية، تلي ذلك قراءات شعريّة لبعض الضيوف.

وفي الفترة المسائية ينظّم المهرجان زيارة إلى روضة الشاعر أبي القاسم الشابي لوضع باقة زهور على ضريحه، تليها أمسية شعرية بمنتزه جنّة عدن بتوزر في الواحة القديمة تتخللها وصلات موسيقية وغنائية، كما تكون السهرة شعرية وموسيقية.